خطاب صاحب الجلالة

بمناسبة الفيضان الذي غمر بعض الأقاليم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

شعبي العزيز :

لقد اعتدنا أن نتوجه إليك بالخطاب كلما دعت ضرورة إلى ذلك، حتى نتمكن مرة بعد مرة من تعاطي الحوار والمذاكرة ومبادلة الأفكار.

وها هي الظروف اقتضت أن نخاطبك اليوم بكيفية مباشرة، ظروف تنقسم إلى قسمين، إلا أنها تنتمي إلى فكرة واحدة وفلسفة واحدة، ألا وهي التعاون والتآلف والتآزر وأخذ كل واحد منا بيد أخيه.

أما النقطة الأولى، فلا يخفى عليك ما اجتاح بلدنا وبالأخص بعض النواحي منه من فيضانات وكثرة أمطار، وليس معنى هذا أننا لا نحمد الله، فقد اعتاد الشعب المغربي المسلم أن يحمده سبحانه وتعالى في السراء والضراء والشدة والرخاء ولاسيما وأن سنة ماء ليست سنة ضراء، فبالعكس نقول دائماً ان سنة الجفاف تكلفنا عشرات وعشرات الملايير بقطع النظر عن عدم الروجان للأموال، خلافاً لسنة فيضانات بالطبع تتطلب عدة تضحيات من الدولة، ولكن لا تعطل السير بالنسبة للمعاملات ولا بالنسبة للتجارة وروجان الأموال.

ولم أكن لأخاطبك لو لم تكن الحالة في الغرب وفي ناحية تازة وخنيفرة مثلا من الخطورة بمكان، فلا يخفى عليك أنه في سنة 1963 وقع عندنا مثل هذه الفيضانات، ولكن في هذه السنة بالأخص اكتست هذه الفيضانات صبغة خاصة وخطورة كبيرة، واتسعت رقعتها إلى حد فرضت علي كمسؤول أن أعطيك أولا نظرة عن الحالة، وثانياً ماهية الوسائل التي ستقوم بها الحكومة والدولة لتحاول إعانة المنكوبين.

مسألة الفيضانات لها ثلاثة أقسام :

— ما يتعلق بالفلاحة.

— وما يتعلق بالأشغال العمومية.

— وما يتعلق بالبشر وبالسكنى.

فمن ناحية الفلاحة يمكن لنا أن نقول ان 150,000 هكتار توجد كلها الآن تحت الماء، وأنها ليست صالحة للفلاحة، وما هي يا ترى أنواع الفلاحة والزراعة الضائعة الآن في تلك الناحية ؟

نجد 15,000 هكتار خاصة بالشمندر.

و44,000 خاصة بالحبوب.

5,500 هكتار خاصة بالبطاطس وما يشابهها.



5,000 هكتار خاصة بالليمون والحوامض.

وأريد أن آخذ رقمين فقط من هذه الأرقام لكي أقول ان تعويضها سيكون من الصعب انجازه على الفلاحين وعلى الدولة أيضاً، حينما نأخذ 15,000 هكتار الخاصة بالشمندر نرى أن معاملنا للسكر لا يمكن لها الاشتغال هذه السنة، وأنه من باب التبعية والضروري للمغرب أن يدفع العملة الصعبة ليشتري مزيداً من السكر من الخارج حتى يسد فراغ إنتاج المعامل التي لن يتوفرها الشمندر في الغرب.

وهناك الرقم الثاني وهو 5,000 هكتار الخاصة بالحوامض والتي أخشى أن تكون قد ضاعت الآن ويكون علينا أن نغرس الحوامض من جديد، فإذا كنا نعلم أن الهكتار يعطي تقريباً 300,000 فرنك وإذا ما ضربنا 5,000 هكتار في 300,000 فرنك نصل إلى عدد مليار ونصف، فإذا نحن وضعنا إزاء هذا أن الهكتار من البرتقال أو الحوامض لا يكون إنتاجه كاملا إلا بعد عشر سنوات يمكن لنا أن نقول اننا سوف نبقى لمدة عشر سنوات سواء منتجي الحوامض أو مكتب التسويق والتصدير أو بالتالي دخول الأموال الصعبة خاسرين 15 مليار.

ولكن ليس معنى هذا أننا لن نعمل شيئاً من شأنه أن يعين الفلاحين، وهذا هو القسم الثاني من خطابي.

أما ما يتعلق بالماشية، فإننا تمكنا ولله الحمد من إنقاذ الماشية كلها ماعدا في ناحية تازة وناحية خنيفرة، هذا فيما يخص الفلاحة.

أما ما يخص الأشغال العمومية فقد رفعت الوزارة تقول أنه حسب الاحصائيات التي تتوفر لديها منذ أن وجدت هذه الوزارة ولها في عمرها سنوات وسنوات لم تقف على أرقام وعلى كميات من الماء وكميات من الخسارات مثلما وقعت عليه في هذه السنة.

ولأعطيكم بعض الأرقام الجزئية، لأن التقويم لا يمكن حصره إلا بعد بضعة أسابيع يمكن لي أن أقول لكم أنه في ناحية فاس وتازة وخنيفرة والريف وقعت خسارات إلى حد أنه اندثرت 17 قنطرة من القناطر المهمة و لم تعد موجودة بعد أن غمرتها المياه وجرفتها.

أما الطرق فقد أخذت منها المياه عدداً من الكيلومترات، وتعلمون أن الطرق في المغرب ليست كالطرق في بعض الدول المتخلفة، فالطرق في المغرب مبنية ومنجزة على الشكل الحديث والتقني، وهذا ما يجعلكم تشعرون بجسامة وأهمية الفيضانات.

أما الشبكة التليفونية فقد قاست من جهتها شدائد ومرائر وأضراراً في هذا المضمار.

أما فيما يتعلق بالسكنى فإذا ما كنتم تذكرون في سنة 1963 كنا قررنا إنجاز برنامج مهم كامل وشامل في ناحية الغرب حتى لا تذهب ضحية الفيضانات أسر وأفراد وجماعات، وفعلا قامت وزارة الداخلية منذ تلك السنة بمجهود مشكور تحمد عليه، الشيء الذي جعلنا لا نحسب أية خسارة بشرية في الغرب خلافاً لما كان منتظراً لو لم تقم تلك الوزارة ببناء الدور على المرتفعات وعلى الربا.

ولكن في ناحية تازة وخنيفرة اللتين لم نكن ننتظر فيهما مثل ما وقع، وقعت خسائر في السكنى وخسائر في الأرواح، واننا إذ نتأسف على ما حصل لمصممون على أن نقوم في هاتين العمالتين بمثل ما قمنا به في عمالة الغرب.

هذه ناحية من نواحي خطابي لكونها ناحية رسمية، فما هي التدابير التي أرادت وقررت الحكومة أن تتخذها للتغلب على هذه الصعاب ؟

ــ من الناحية الفلاحية، قررنا على أن نعمل في الغرب مثلما عملنا سنة 1963، وأن نزرع للفلاحين بكيفية مجانية بعض أنواع البذور التي تستعمل بالأخص في فصل الربيع، فإذا نحن استعملنا الحمص والذرة ونوارة الشمس والذرة البيضاء والبرسيم والقطن أظهرت لنا التجربة الماضية أن مثل هذه العمليات من شأنها أن توازي مدخول منتوج ما ضاع من الناحية الفلاحية.

ولا يخفى عليكم أن هناك بعض المكاتب الفلاحية كانت لها براج واعتمادات فقررنا أن نخصص هاته العمليات مبلغ 750 مليون فرنك لاعادة النشاط الفلاحي في الغرب.

وكما تعلمون هناك برنامج دولي للبناء والتعمير، فقد قررنا وبكيفية أوسع أن نولي اهتمامنا وأن ندفع أكثر ما يمكن من المبالغ المقررة في ناحية تازة لاعادة بناء ما تهدم ولبناء دور جديدة تكون على غرار ما فعلنا في الغرب، تكون في مأمن إن شاء الله إذا تكررت مثل هذه الأحداث.

كما أننا في مشروع ديرو ومشروع التشجير في ناحية فاس وتازة والحسيمة وتطوان والرباط ومكناس، قررنا أن نوجه كل مجهودنا نحو تازة لتشجيرها حتى لا تضيع التربة وحتى يمكن للشجر أن يقبض التربة، وحتى يمكننا كذلك أن نجد العمل لأكثر ما يمكن من اليد العاملة.

وللوصول إلى هذه النتائج في أسرع ما يمكن من الوقت، ولبلوغ أهداف ترميم ما تصدع والأخذ بيد المنكوبين واشعارهم بأن الدولة والحكومة وأن خادم الدولة الأول وهو ملكها وخادمها الأول ليسوا بمعزل عاطفياً ولا جغرافيا عما ينتابه قررت أن أكون لجنة تحت إشراف الوزير الأول مركبة من وزير الدولة المكلف بالفلاحة، ووزير الداخلية، ووزير المالية، ووزير الأشغال العمومية، ووزير الصحة العمومية، وسوف تكون مسؤولية هذه اللجنة :

ــ أولا : جمع التبرعات الخارجية والداخلية، المادية والنقدية لتوزيعها بكيفية عملية ودقيقة على جميع النواحي المنكوبة، كما أنه ستكون مهمتها الاشراف شخصياً ومباشرة على أن ينجز ما قلت لكم هنا اليوم من الوعود في المواعيد فيما يخص السكنى والتعمير والتعويضات للفلاحين والتعويضات للكسابين، والتعويضات لكل من ضاعت له أشياء.

كما أننا أعطينا أمرنا إلى وزيرنا في الفلاحة أن ينظر في كل ملف، وستكون مهمته النظر في الملفات وأن يعرض عينا الناس وطبقات الفلاحين الذين سيعفون نهائياً من الضرائب وطبقات الفلاحين الذين وان لم يعفوا منها سيعطى لهم أجل لدفع تلك الضرائب، وحتى بعض الناس الذين اقترضوا من الدولة أو من الأبناك المختصة في هذا الصدد يعطى لهم حق التأخر في دفع ما اقترضوه من تلك المؤسسات حتى لا يشعروا بالضرر الذي أصابهم.

ومن هذا كله فأنا شخصياً متفائل، لأن المغرب كان يؤرخ فيه بعض أجدادنا الأعوام بعام المسغبة، وعام المصيبة الفلانية، وعام المرض الفلاني، ولكن لم يثبت أبداً في التاريخ أن العوام أرخوا بعام الفيضانات، وهذا دليل على أنهم يعتبرون الفيضان وكثرة الماء رغم ما فيه من ضرر عاجل أن خيره كله آجل، وأنه يتسبب في

ملء الآبار وجميع المطافىء وتصبح الماشية بخير، فلهذا أنا شخصياً متفائل، فأنا أعرف ما هي المجهودات التي يجب على الدولة أن تقوم بها، ولكن الدولة منظمة ودواليبها تسير أحسن ما يمكن تسيير الدواليب، فلهذا سوف تقوم بواجبها دون أن يحس أي مواطن حيثما كان بأي خلل في أي ميدان كان.

ولست في حاجة شعبي العزيز أن أقول لكم أن تبعية هذا الخطاب وتسلسله المنطقي يقتضي منا جميعاً أن ننهض ونقف وقفة رجل واحد بمساهمة كل من فرد أو جماعة ومدينة وعمالة، أن نسهم بما يمكننا أن نسهم به حتى نخفف على الدولة من جهة وعلى المنكوبين من جهة ما يحسون به من أضرار وما يلحقهم من متاعب.

فأنا شخصياً أتنازل عن شهرين كاملين مما آخذه كأول موظف للدولة في سبيل منكوبي الغرب، فأملي أن تكون هذه المساهمة التي هي ضئيلة بالنسبة للمنكوبين، ولكن بالنسبة لأب أسرة مهمة، أرجو أن تكون هذه المبادرة فاتحة خير ومفتاحاً للمبادرات التي أنتظرها منكم جميعاً مواطني الأعزاء أغنياء وتجاراً وصناعاً وعمالا وأساتذة وموظفين.

ولكن التضامن وأخذ المؤمن بيد أخيه لا يمكن أن ينحصر في أسرة بشرية ما أو في مجموعة جغرافية ما أو بين سكان بلد ما، فروح التضامن هي قبل كل شيء غريزة أولا، فإذا هي نظمت صارت خصلة حميدة بل صارت أدباً من آداب الاسلام وصارت مثالا لمن سيخلفنا من الأجيال.

وأريد هنا هذا التضامن الذي لا يعرف حدودا بين المجموعات البشرية ولا القارات ولا الأوطان.

أريد أن أخاطبك شعبي العزيز في موضوع تضامننا مع إخواننا الفلسطينيين، فقد سمعت شعبي العزيز من أحد المسؤولين في جبهة التحرير وفي ندوة صحفية أنني وعدت بأن المغرب سيساهم في اعانة الفلسطينيين بقدر ما من المال.

وقد كان في الامكان حينما عقدت الندوة الصحفية التي تلت انتهاء مؤتمر القمة العربي أن أدلي بهذا الخبر وأن أرفع إليكم هذا النبأ، ولكنني تأخرت نظراً لكون الصيغة هنا والشكل هنا أهم من المبلغ بكثير.

فقد كان في الامكان أن تعين الدولة والخزينة بكيفية مباشرة اخواننا الفلسطينيين، كما أنه كان في الامكان أن تخلق ضريبة جديدة ولكنها ستكون متسمة بما تتسم به كل ضريبة بمعنى الارغام والارهاق، وصرنا نفكر في الطريقة التي من شأنها أن تعطي الصورة الحقيقية للمغرب وما يروج في قلوب المغاربة من تضامن إنساني وبشري أولا وعربي ثانياً.

ويمكن لكل واحد منكم أن يتساءل لماذا لم يفكر المغرب في إعانة فلسطين بهذه الكيفية إلا هذه السنة. الأسباب ظاهرة ومنطقية.

السبب الأول، أننا لم نلمس إلى حد السنة الماضية الجدية الكافية واللازمة فيما كان يسمى بالمنظمة الفلسطينية للتحرير.

ثانيا، لم نشعر أبداً في أي وقت كان من الأوقات أن تلك المنظمة أرادت أن لا يتجر بها، وأن لا تبقى محل وموضوع مساومة بين أية دولة عربية أو نظام عربي.

ثالثا، تفهمنا من تلك المنظمة أنها فتحت أمامها آفاقا جديدة ومخرجاً جديداً ومنطقياً وواقعياً من شأنه أولاً أن ينال اهتمام الدوائر الرسمية، ومن شأنه أن يحقق قبولها — رغم أنها لا تزيد عن مليون ونصف من السكان — بذلك الرهان، وهو رهان التعايش رأساً لرأس وبكيفية ديمقراطية مع جميع سكان فلسطين المغصوبة كيفما كانت أجناسهم وديانتهم تعيش معهم على قدم المساواة وقدم الديمقراطية.

وإذ ذاك تبين لنا في الحين أن هذا هو الباب الوحيد لحل مشكل الشرق الأوسط.

فلا يمكن لأي بلد ما من الدول العربية المواجهة أو غير المواجهة دون أن تخون قضية فلسطين — أن تعترف بالحدود الحالية لدولة صهيونية تستعمل الميز العنصري.

ثانيا، لم تعن أي دولة كبرى، لا روسيا ولا أمريكا ولا فرنسا ولا أنجلترا، أي دولة عربية على أن تأخذ الاسرائيليين كلهم وأن تذهب بهم إلى البحر.

ثالثا، كان يظهر ويتصور عند كل إنسان أن هناك عدم التوازن بين مائة مليون عربي يريدون أن ينتقموا وأن يأكلوا مليون ونصف من اليهود مساكين أكلا.

أما الآن، فالمشكل تحول وصار مشكل مليون ونصف من الفلسطينيين أصلهم هناك ومسقط رأسهم هناك يطالبون بالرجوع إلى أوطانهم رغم وجود مليونين ونصف من الذين ليسوا عرباً ولا مسلمين.

ورغم عدم توازن النسبة فهم راضون كما قلت لكم بذلك الرهان الذي يضمن المعايشة الديمقراطية السلمية الحرة مثل ما تعيش الجماعات والمجموعات المختلفة في لبنان مثلا، نعم يوجد من يقول إن هذا حلم نعم لا أنتظر شخصيا من قادة المنظمة أنهم يركنون لهذا الحل بين عشية وضحاها بل لا أنتظر من المسؤولين في إسرائيل أن يتجهوا إلى هذا الاتجاه، فكأنما قلنا للمقيمين العامين في المغرب وتونس أو لأولئك الرأسماليين الاقطاعيين الذين كانوا في الجزائر أن يوقعوا وثيقة استقلال الجزائر وتونس والمغرب.

ولكن لي اليقين أن الأجيال الصاعدة من الاسرائيليين أنفسهم والذين ولدوا في تلك الأرض، ويتكلمون العربية مثلما نتكلم بها ويعيشون عيشة عربية مثلما نعيشها، سوف يعلمون وسوف ينضجون ويقتنعون بأن هذا هو الحل الذي يوافق ماضيهم ومستقبلهم وحاضرهم.

كما أن الدول الكبرى سوف تصل إلى هذه النتيجة الحتمية.

إن الحل لا يمر بالقاهرة، ولا بالأردن، ولا بسوريا، وهي عواصم الدول التي وقع عليها العدوان، ولكن الحل يمر بالفلسطينيين مسلمين كانوا أو يهوداً.

وحينما أقول الفلسطينيين فلا أستثني منهم اليهود الفلسطينيين، والفلسطينيين المسلمين.

فلذا أمام هذا العمل وأمام هذه النافذة التي ستصبح إن شاء الله باباً وبعد ذلك ستصبح أبواباً وستنير لنا الطريق وتوسع أمامنا الآفاق، أمام جدية منظمة التحرير الفلسطينية أمام عزمها على أن تبقى مستقلة عن أي تيار عربي حزبياً كان أو حكومياً، أمام شجاعتها واقدامها على المحاربة من جهة وللمساهمة بحل سلمي منطقي عادل من جهة أخرى، يقدم المغرب وأرجو منكم أن تقدموا جميعاً على المساهمة لاعانة إخواننا الفلسطينيين.

لم أرد أن أسميها ضريبة لكي لا يسمى أنكم أعطيتموها بالرغم عنكم، لم أرد أن تدفعها الدولة لصندوق

المنظمة ولكن أردت على الأقل حتى إذا لم ننل فخر ومجد الاستشهاد على تلك الأرض المقدسة على الأقل أن ننال ثواب التبرع التلقائي لكل مغربي مغربي.

فهذه الاعانة التي ستصلهم قدرناها تقريبا بمليارين من الفرنكات سنوياً بعملة صعبة مقابل تقريباً أربعة ملايين دولار.

سنأخذها من المسائل التي لا يأخذها إلا من أراد ذلك. مثلا من الدخان من أراد أن يعين فسيأخذ علبة الدخان التي سيلصق عليها تنبر خاص حسب إنتاج دخان المغرب أو إنتاج الخارج.

ثانيا : من كان يذهب مرة في الأسبوع إلى السينما، إذا أراد أن يعين فلسطين سوف يذهب أربع مرات في الأسبوع لأننا سوف نأخذ بعض المقادر عن كل مقعد.

وهكذا ستبقى مساهمتكم مساهمة من الدولة ومن الشعب المغربي منوطة بأريحيتكم، منوطة بثقتكم في مستقبل هذه القضية التي لم تكن قضية من شأنها أن تكون ناجحة يوماً ما، مادامت متجهة ذلك الاتجاه الأخرق الذي كانت متجهة إليه.

أما الآن وقد كنا نعيش على ظهر سفينة تتلاعب بها الأمواج، الآن نرى ولله الحمد في الأفق ساحل النجاة، ربما ستعترضنا في الطريق عواصف ربما ستدفع بنا الرياح إلى مجرى مخالف للمجرى الذي سيوصلنا إلى تلك الأرض ربما سيطبق علينا ما قال الشاعر :

تجري الرياح بما لا تشتهي السفن.

ولكن لي اليقين أننا سنصل في أقرب ما يمكن أن نتصور إلى الحل النهائي العادل لذلك المشكل، ألا وهو الحل الذي اختارته منظمة التحرير الفلسطينية.

وعلى أي كان فأنا مسبقاً أشكر لك شعبي العزيز كشعب وكمواطنين كل ما يمكن أن تظهره من عواطف الود والتضامن والتآزر مع إخوانك المنكوبين في المغرب ومع أشقائك وإخوانك المنكوبين في الشرق.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يلهمنا الثواب والرحمة والايمان الصادق حتى يمكننا أن نسير دائماً في هذه الحياة التي ليست إلا سلسلة من التضحيات لا تكتسي دائماً صبغة واحدة ولا تجيء في ظرف موازي ولا متشابه مع الظرف الذي جاءت به في الماضي.

ولكن حياتنا هي حياة تضحيات مستمرة واختيارات مستمرة، أرجو الله سبحانه وتعالى أن يلهمنا أولا القدرة والصبر على تحمل التضحيات، ويلهمنا السداد والتوفيق أمام الاختيارات.

والسلام عليكم ورحمة الله.

ألقي بالرباط

الخميس 14 ذي القعدة 1389 — 22 يناير 1970